الحلقة (١٤)

وقد قيل: الفقه زرعه عبد الله بن مسعود، وسقاه علقمة، وحصده إبراهيم النخعي، وداسه حماد، وطحنه أبو حنيفة، وعجنه أبو يوسف، وخبزه محمد، والناس يأكلون من خبزه، كما ذكر ذلك صاحب أنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء لقاسم القونوي.

وأصبحت رواية الحديث قليلة في مدرسة الكوفة **لماذا ؟**

لأن شيخها هو عبد الله بن مسعود، ومعلوم أنه يميل إلى أراء عمر بن الخطاب، وعمر ينهى عن إشاعة الحديث عن رسول الله ﷺ، ذكر ابن القيم أن ابن مسعود قال: "إني لأحسب عمر ذهب بتسعة أعشار العلم" وقال أيضا: "لو أن علم عمر وضع في كفة الميزان، ووضع علم أهل الأرض في كفة لرجح علم عمر".

ولم يكن عبد الله بن عمر وزيد بن ثابت وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس هم المعلمون للناس وحدهم، **بل** كان لكل صحابي تلاميذه الذين أخذوا عنه ما علم من قرآن وسنة.

* **اشتهر الفقهاء والمفتون في جميع الأقطار الإسلامية:**

في مكة: عطاء بن أبي رباح: (من سنة ٢٧هـ إلى ١١٤هـ)

وهو/ عطاء بن أسلم بن صفوان، مفتي مكة ومحدثهم، ولد في جند اليمن سنة ٢٧هـ ونشأ بمكة وتعلم فيها، وتوفي فيها سنة ١١٤هـ من أجلاء التابعين وفقهائهم.

وفي اليمن: طاووس بن كيسان: (من ٣٣هـ إلى ١٠٦هـ)

وهو/ طاووس بن كيسان الخولاني الهمداني بن ولاء، أصله من فارس، ولد في اليمن سنة ٣٣هـ وفيها نشأ وتعلم، وقد توفي حاجاً بالمزدلفة أو بمنى سنة ١٠٦هـ، يكنى بأبي عبد الرحمن، وطاووس من أكابر التابعين فقها ورواية للحديث وتقشفا في العيش وجرأة في قول الحق وتجنبا لقول غير الحق.

في الكوفة:

١. شريح بن الحارث الكندي: (ولد سنة ٤٣ قبل الهجرة وتوفي سنة ٧٨هـ)

وهو/ شريح بن الحارث بن المنتجع بن معاوية بن جهم الكندي، وقيل هو حليف لهم من بني رائش، وقال بن حجر: "ويقال أنه شريح بن الحارث ابن شراحيل، من أولاد الفرس الذين كانوا باليمن وكان حليف كندة"، يعد في كبار التابعين، وقد أدرك الجاهلية، واختُلِف في صحبته للنبي ﷺ، والراجح أنه لم يرَ الرسول ﷺ ولم يسمع منه، وكان شريح أعلم الناس بالقضاء، وكان ذا فطنة وذكاء ومعرفة وعقل ورصانة، ولهذا ولاه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب القضاء على الكوفة، ثم كان قاضيا لعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم، ولم يزل قاضيا بالكوفة حتى زمن الحجاج، وقد توفي رحمه

الله بالكوفة سنة ٧٨هـ بعد أن ولي القضاء ٥٣ سنة.

٢. إبراهيم النخعي: (من ٤٦هـ إلى ٩٦هـ)

وهو / إبراهيم يزيد بن قيس بن الأسود بن عمرو بن ربيعة النخعي اليمني، أحد أعلام الفقه في العراق وهو من التابعين، قال عنه الذهبي: "وكان مفتي أهل الكوفة هو والشعبي في زمنهما، وكان رجلا صالحا فقيها متوقيا، قليل التكلف، وهو مختفٍ من الحجاج" كما ذكر ذلك الذهبي في سير أعلام النبلاء، مات سنة ٩٦هـ، ذكر محمد أبو زهرة في تاريخ **المذاهب الفقهية**: "إن فقيهين من فقهاء التابعين كانا أبرز الفقهاء مظهرا وكلاهما يمثل فقه بلده، وحملا المجموعة الفقهية التي امتاز بها بلده، وهما سعيد بن المسيب في المدينة، فإليه أوى علم كثيرين من الصحابة الذين كانت المدينة موضع اجتهادهم، وثانيهما إبراهيم النخاعي فإليه أوى علم عبد الله بن مسعود وأقضية علي وغيرهما من الصحابة القليلين الذين أقاموا بالعراق.

٣. سعيد بن جبير: (من ٤٥هـ إلى ٩٥ هـ)

وهو / سعيد بن جبير مولى لبني أسد، حبشي الأصل يكنى بأبي عبد الله، من سادات علماء التابعين، أخذ العلم عن عبد الله بن عباس، وكان ابن عباس رضي الله عنهما إذ أتاه أهل الكوفة يستفتونه قال أتسألونني وفيكم ابن أم دهماء يعني سعيد بن جبير، وقد قتله الحجاج بن يوسف الثقفي، وقصة قتله مشهورة معلومة متناقلة قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: "قتل الحجاج سعيدا وما على وجهه الأرض أحدٌ إلا وهو مفتقر إلى علمه".

٤. مجاهد بن جبر: (من ٢١ هـ إلى ١٠٤ هـ) من أعلام مدرسة أهل الرأي:

وهو مجاهد بن جبر أبو الحجاج المكي المخزومي بن الولاء، مولى السائب بن أبي السائب المخزومي، ولد سنة ٢١هـ وتوفي سنة ١٠٤هـ وهو ساجد، عرض القرآن على بن عباس ثلاثين مرة، وقد اشتهر بتفسير القرآن كما قال الإمام الذهبي: "شيخ القراء والمفسرين" تنقل في الأسفار واستقر أخيرا بالكوفة.

٥. حماد بن أبي سليمان:

وهو / حماد بن مسلم أبو إسماعيل الكوفي، مولى إبراهيم بن أبي موسى الأشعري، أصله من أصبهان، وهو أحد الفقهاء المشهورين بالكوفة، روى عن: أنس والنخاعي وسعيد بن جبير وابن المسيب والشعبي وغيرهم، وروى عنه: حماد بن سلمة وحمزة الزيات والثوري وشعبة، يقول السيوطي: "وقال الشيباني: ما رأيت أفقه من حماد، قيل ولا الشعبي قال ولا الشعبي"، وحماد هو شيخ أبي حنيفة رحمه الله، قال الذهبي: "فأفقه أهل الكوفة عليّ وابن مسعود ،وأفقه أصحابهما علقمة وأفقه أصحابه إبراهيم وأفقه أصحاب إبراهيم حماد، وأفقه أصحاب حماد أبو حنيفة".

٦. ابن أبي ليلى:

وهو / محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، مفتي الكوفة وقاضيها، ولد سنة نيف وسبعين ومات أبوه وهو

صبي، أخذ العلم عن الشعبي وعطاء بن أبي رباح والقاسم بن عبد الرحمن وغيرهم، وحدث عن: شعبة وسفيان بن عيينة والثوري وغيرهم، يقول الذهبي: "وكان نظيرا للإمام أبي حنيفة في الفقه" وقال الذهبي أيضا: "قال أحمد كان سيء الحفظ مضطرب الحديث، وكان فقهه أحب إلينا من حديثه"، وليَّ الحكم والقضاء في الكوفة لبني أمية ثم لبني العباس، وقد توفي في الكوفة سنة ١٤٨هـ.

إذاً هؤلاء الفقهاء من سادات التابعين وهؤلاء كانوا في الكوفة.

في الشام:

١.أبو إدريس الخولاني:

وهو / أبو إدريس الخولاني عائذ الله بن عبد الله بن عمرو العوذي، ولد يوم حنين سنة ٨هـ وتوفي سنة ٨٠هـ، من علماء الشام وقرائهم قال مكحول: "ما رأيت أعلم منه" وقال الزهري: كان قاص أهل الشام وقاضيهم، قد ولاه عمر بن عبد العزيز قضاء المظالم، وقد سمع من عبادة بن الصامت وشداد بن أوس وأبي الدرداء وعبد الله بن مسعود، وقد اختلف في سماعه من معاذ بن جبل.

٢.محمد بن شهاب الزهري:

وهو / محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري القرشي، يكنى بأبي بكر، ولد بالمدينة سنة ٥٨هـ وتوفي بشغب آخر حد الحجاز وأول حد فلسطين سنة ١٢٤هـ، وهو أول من دون الحديث، وهو من أكابر الحفاظ والفقهاء التابعين، من أهل المدينة، وقد نزل الشام واستقر بها.

في خراسان:

عطاء الخرساني:

وهو / عطاء بن أبي مسلم، المحدث الواعظ، نزيل دمشق والقدس، وثقه بن معين، قال الذهبي: "وقال ابن حبان: أصله من بلغ، وعداده البصريين، وإنما قيل له الخرساني لأنه دخل إلى خرسان وأقام ثم رجع إلى العراق، وكان من خيار عباد الله، غير أنه رديء الحفظ كثير الوهم، فلما كثر ذلك في روايته بطل الاحتجاج به"، يقول ابن القيم: "وفقيه أهل خراسان عطاء الخراساني" توفي في أريحا ودفن ببيت المقدس سنة ١٣٥هـ وقيل مولده سنة ٥٠هـ.

*** الفقه في عصر الأئمة المجتهدين:** يسمى (دور النضج والكمال) و(دور عصر الأئمة المجتهدين)، يبدأ من سنة ١٣٢هـ حتى سنة ٣٥٠هـ، وفيه نضج الفقه وكمل، وتأسست المذاهب، وظهر الأئمة المجتهدون منهم الأئمة الأربعة الإمام أبو حنيفة ومالك والشافعي وابن حنبل، ودون الحديث والفقه ونشأ علم أصول.

*** سبب ازدهار الفقه في هذا العصر يرجع إلى عدة أسباب منها:**

[يستحسن أن نرجع في هذا إلى كتاب تاريخ الفقه للدكتور ناصر الطريفي]

١. **عناية خلفاء بني العباس بالفقه والفقهاء،** فكانوا يغدقون عليهم الأموال، ويجالسونهم، ويولونهم

الأعمال والمناصب، وقد أراد المنصور أن يحمل الناس على العمل بالموطأ ولكن مالكاً نهاه عن ذلك وقال: "وددت أن أعلق كتابك هذا في الكعبة وأفرقه في الآفاق وأحمل الناس على العمل به حسما للخلاف، فقال مالك لا تفعل"، المنصور له وجهة نظر ومالك له وجة نظر، فالمنصور يريد أن يحسم الخلاف ويضيق دائرته، أما الإمام مالك فيخشى من الافتتان في هذا وأيضا ترك أو قصر الاجتهاد وإغلاق بابه، و أيضا قد يكون يرى أن غير كتابه فيه خير وفيه فائدة ونفع كما في كتابه.

٢. **شيوع الجدل والمناظرة بين العلماء في المساجد وحلقات العلم**، وكان حين يحصل جدل بالمكاتبة كما يظهر ذلك أحيانا بالوضوح في كتاب الأم للإمام الشافعي رحمه الله، وقد زخرت بعض الكتب بتلك المناظرات، وأحيانا يُفتعل الخلاف بين العلماء، لماذا؟ ليظهر التحقيق في المسألة العلمية، ولكن هذا الجدل أخضعه المتأخرون فيما بعد لترويج مذاهبهم والدعوة إلى عصبيتهم، فنسبوا بعض المناظرات إلى الأوائل، وقد كان الجدل يحصل به التوصل إلى الحق فحسب.

٣. **ظهور حركة التدوين للتفسير والسنة والفقه**، حيث دونت العلوم الشرعية كتفسير عبد الله بن مسعود، وعلي بن أبي طالب، وعبد الله بن عباس، وأبي بن كعب، كما دونت فتاوى الصحابة وأقضية الخلفاء الراشدين وفتاوى التابعين وتابعيهم، إذاً في هذا الدور نضجت العلوم واستقلت بمناهج خاصة، وأول من ألف هو الإمام مالك بن أنس في **كتابه الموطأ**، وقد سبقته كتب ألفت ولكن ربما أنها لم تصل إلينا، أو أنها وصلت دون النص عليها، وإنما دمجت في كتب الحديث أو التفسير، فقد ورد أن الربيع بن صبيح المتوفى سنة ١٦٠هـوسعد بن أبي عروبة المتوفى سنة ١٥٦هـوغيرهما قد جمعا الأحاديث والآثار وفتاوى الصحابة ووضعوها كل باب على حدة، ذكر ذلك شيخ الإسلام في فتاويه في الجزء العشرين منه، يقول الإمام مالك: "لقيني أبو جعفر المنصور في الحج فقال إنه لم يبق على وجه الأرض عالم غيري وغيرك في هذا الأمر، وقد شغلت عنه بالخلافة فاكتب للناس كتابا ووطئه توطئة، وجنبه رخص ابن عباس، وتشديدات ابن عمر، وغرائب ابن مسعود، قال مالك فعلّمني كيف أؤلف الكتاب"، يقول عنه صاحب كشف الظنون: "هذا أول كتاب أُلِّف في شرائع الإسلام، قيل كانت أحاديثه عشرة ألاف حديث، فهذبه ونقص ما كان فيه طعن وضعف، إلى أن صارت الأحاديث المتصلة خمسة آلاف وخمسمائة حديث"، وقد ألف في عصر مالك عبد الملك بن جريج بمكة، والأوزاعي بالشام، وسفيان الثوري بالكوفة، وحماد بن سلمة بالبصرة، ومعمر باليمن، وشيم بواسط، ومبارك بخراسان، وجرير بن عبد الحميد بالري، والإمام أبو حنيفة كتب **الفقه الأكبر** وهو كتاب عظيم حوى ستمائة ألف مسألة وقيل أكثر، لكن اختلفوا هل تصلح نسبتها إليه أو أنه من تأليف أصحابه؟ وقد طبع كتاب الفقه الأكبر سنة ١٣٢١هـبالهند، لكن هذا الكتاب قيل يتحدث عن العقيدة السلفية وهو غير كتاب الفقه الأكبر الذي يتحدث عن الفقه، يقول بعض العلماء ولم يقع له من الإقبال وتواتر الرواية والقبول ما وقع لموطأ الإمام مالك بن أنس، كما فُصل الحديث عن التفسير

والفقه في التأليف، كما في صحيح البخاري ومسلم وكتب السنن وبوبت على أبواب الفقه.
*كما دون الإمام الشافعي علم أصول الفقه، فرسم مناهج الاستنباط، وبين ينابيع الفقه وأوضح معالمه، هذا ما تيسر لنا في هذه الحلقة.